

تاج العروس من جواهر القاموس

ويقال : لِقَيْتُهُ سَحْرًا وَسَحَرَ يا هذا مَعْرَفَةٌ لم تَمُورْ بِهِ إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ سَحَرَ لَيْلَتِكَ لَأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ وَقَدْ غَلِبَ عَلَيْهِ التَّعَرِيفُ بَغْيَرُ إِضَافَةٍ وَلَا أَلْفٍ وَلَا مِثَالٍ كَمَا غَلَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ بَنِيهِ . فَإِنْ أَرَدْتَ سَحَرَ نَكِيرَةً صَرَفْتَهُ وَقَلْتِ أَتَيْتُهُ بِسَحَرٍ وَبِسَحْرَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ " أَجْرَاهُ لِأَنَّهُ نَكِيرَةٌ كَقَوْلِكَ : نَجَّيْنَاهُمْ بِلَيْلٍ . فَإِذَا أَلْقَى الْعَرَبُ مِنْهُ الْبَاءَ لَمْ يَجْرُوهُ فَقَالُوا : فَعَلَتْ هَذَا سَحَرَ يَا فَتَى وَكَأَنَّ هُمْ فِي تَرْكِهِمْ إِجْرَاءَهُ أَنْ كَلَامَهُمْ كَانَ فِيهِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ فَجَرَى عَلَى ذَلِكَ فَلَمَّا حُفَّتْ مِنْهُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِيهِ نِيَّتُهُمَا لَمْ يُصْرَفْ . كَلَامُ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا : مَا زَالَ عِنْدَنَا مِنْهُ السَّحَرُ لَا يَكَادُونَ يَقُولُونَ غَيْرَهُ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ وَهُوَ قَوْلُ سَبِيوَيْهِ : سَحَرَ إِذَا كَانَ نَكِيرَةً يَرَادُ سَحَرَ مِنَ الْأَسْحَارِ انصرفت . تقول : أَتَيْتُ زَيْدًا سَحْرًا مِنَ الْأَسْحَارِ . فَإِذَا أَرَدْتَ سَحَرَ يَوْمًا قَلْتِ : أَتَيْتُهُ سَحَرَ يَا هَذَا وَأَتَيْتُهُ بِسَحَرَ يَا هَذَا . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَالْقِيَّاسُ مَا قَالَهُ سَبِيوَيْهِ . وَتَقُولُ : سِرُّ عَلَى فَرَسِكَ سَحَرَ يَا فَتَى . فَلَا تَرْفَعُهُ لِأَنَّهُ طَرَفٌ غَيْرٌ مُتَمَكِّنٌ . وَإِنْ سَمَّيْتِ بِسَحَرَ رَجُلًا أَوْ صَغُورَةً انصرفت لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى وَزْنِ الْمَعْدُولِ كَأَخْرٍ . تقول : سِرُّ عَلَى فَرَسِكَ سُحْرًا . وَإِنْ مَاتَ لَمْ تَرْفَعُهُ لِأَنَّ التَّصْغِيرَ لَمْ يُدْخِلْهُ فِي الظُّرُوفِ الْمُتَمَكِّنَةِ كَمَا أُدْخِلَ فِي الْأَسْمَاءِ الْمَتَصَرِّفَةِ . وَمِنَ الْمَجَازِ : أَسَحَرَ الرَّجُلُ : سَارَ فِيهِ أَيْ فِي السَّحَرِ أَوْ نَهَضَ لِيَسِيرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَأَسْتَحَرَ . وَأَسَحَرَ أَيضًا : صَارَ فِيهِ كَأَسْتَحَرَ وَبَيْنَ سَارَ وَصَارَ جِنَاسٌ مُحَرَّفٌ . وَالسُّحْرَةُ بِالضَّمِّ لُغَةٌ فِي الصُّحْرَةِ بِالصَّادِ كَالسَّحَرِ مُحْرَّكَةً وَهُوَ بِيَاضٌ يَعْلُو السُّوَادَ . وَمِنَ الْمَجَازِ السُّحْرُ بِالكَسْرِ : عَمَلٌ يُقْرَبُ فِيهِ إِلَى الشَّيْطَانِ وَبِمَعُونَةٍ مِنْهُ . وَكُلُّ مَا لَطُفَ مَا خَذَهُ وَدَقَّ فَهُوَ سِحْرٌ . وَالْجَمْعُ أَسْحَارٌ وَسُحُورٌ . وَالْفِعْلُ كَمَنْعَ . سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ سَحْرًا وَسَحْرًا وَسَحَرَهُ . وَرَجُلٌ سَاحِرٌ مِنْ قَوْمِ سَحْرَةٍ وَسُحَّارٍ . وَسَحَّارٌ مِنْ قَوْمِ سَحَّارِينَ وَلَا يُكْسَرُ . وَفِي كِتَابِ " لَيْسَ " لابن خَالَوَيْه : لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَعَلٌ يَفْعَلُ فِعْلًا لِأَنَّ ثَلَاثَ لِهْمًا قَالَهُ شَيْخُنَا . وَمِنَ الْمَجَازِ : السَّحْرُ : الْبَيَانُ فِي فِطْنَةٍ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ " أَنْ قَيْسَ بْنَ عَاصِمِ الْمُنْقَرِيِّ وَالزُّبَيْرِ قَانِ بْنِ بَدْرِ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ

قدموا على النبي A فسأل النبي A عمراً عن الزبير فان فأثنتني عليه خيراً فلم
يرض الزبير فان بذلك وقال : وا يا رسول الله إن الله لي أعلم أن نبي أفضل
مما قال ولكنه حسد مكارمي منك فأثنتني عليه عمراً وشراً ثم قال : وا ما
كذبت عليه في الأولى ولا في الآخرة ولكن الله أرضاني فقلت بالرضا ثم أسخطاني
فقلت بالسخط . فقال رسول الله A : إن من البيان لسخرًا . قال أبو
عبيد : كأن معذاته وا أعلم أن الله يبذل من ثنائه أنه يمدح الإنسان
في صدق فيه حتى يصرف قلوب السامعين إليه أي إلى قوله ويذمه
في صدق فيه حتى يصرف قلوبهم أيضاً عنه إلى قوله الآخر . فكأنه سخر
السامعين بذلك . انتهى . قال شيخنا : زعم قوم أن كلام المصنف فيه
تناقض فكان الأولى في الأولى : حتى يصرف قلوب السامعين إليه . وفي
الثانية : حتى يصرف قلوبهم عنه لكن قوله أيضاً يحقق أن كلاهما
: حتى يصرف قلوب السامعين . والمراد أنه بفصاحته يصير الناس
يتعجبون منه مدحاً وذمماً فتصرف قلوب السامعين إليه في الحالتيين كما قاله
المصنف . ولا اعتداد بذلك الزعم . وهذا الذي قاله المصنف ظاهر وإن كان
فيه خفاء . انتهى . قلت : لفظه " أيضاً " ليست في نص أبي عبيد وإنما زادها
المصنف من عنده والمفهوم منها